باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وايماضاً لهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن المهمة فيما يدرج فيه على اصحابه فنجتبي براءه منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه مايأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيما كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

الموسيقى العربية أُمّ الموسيقى الاسبانية

ساعة مع الدكتور ادموندو كورايا لويس

من حسنات النادي الفينيقي[1] في ريوده جانيرو انهُ بات مزاراً للكثيرين من ادباء البرازيل والبرتوغال وكبار رجال الفن والقلم منهم ولا غرو فهم يرون فيه صورة الثقافة الشرقية والادب العربي فيستفزهم الشوق للاتصال به بعد أن قرأوا ما قرأوا عن حضارة العرب في الاندلس والبورتوغال وبعد ان قام فريق من لغويهم يبحث في اصول اللغات متأثراً مصادر الكلمات العربية الفاشية في اللغة البورتوغالية . ومن الذين اموا النادي الفينيقي الدكتور ادموندو كورايا لويس البورتوغالي وهو كاتب مجيد وموسيقي مشهور له في الموسيقى مؤلف قيم تناول في بعض نواحيه الموسيقى العربية وآثارها في اسبانيا

ضمني النادي الفينيقي والدكتور لويس عصر يوم احد وكانت الموسيقى العربية مدار البحث بيننا فقلت له : اتستطيع يا استاذ وانت احد كبار الموسيقيين ان تجلو لي بعض ما غمض من تاريخ الموسيقى العربية في الاندلس

ج — لم يبق من غامض في تاريخ الموسيقى العربية فهي أُم الموسيقى الاسبانية واسبانيا اليوم هي أم الموسيقى العالمية وكفى . ثم قال ان الابهام ظل زمناً طويلا يكتنف

(١) هو نادٍ أنشأته الجالية السورية هناك

تاريخ الموسيقى الاسبانية حتى قام المستشرق الاسباني خوليان ريبارا فأماط اللثام عنه واصبحنا اذا نحن احتجنا الى البحث في الموسيقى ال Classique لجأنا الى الموسيقى العربية واتخذناها سنداً

س — ما الذي ادلى به هذا المستشرق الاسباني

ج — ان خوليان ريبارا(٢) يردُّ موسيقى القرون الوسطى الى اصل عربي ويقيم الادلة والشواهد على ذلك

س — ألم تكن الموسيقى معروفة في اسبانيا قبل دخول العرب . أو لم يكن للاسبان موسيقى شعبية كسائر الامم ؟ ؟

ج — ان الموسيقى قديمة العهد وقد رافقت النشوء الانساني لانها مظهر من مظاهر الحالات النفسية وقبل دخول العرب اسبانيا لم يكن هناك سوى الموسيقى المدعوة Fiesta وهي مجموعة الحان كنسية مأخوذة عن اليونان وكان القسوس يحرصون عليها جد الحرص ولم تكن الموسيقى الشعبية الا فرعاً ضئيلاً منها. ولما جاء العرب وازدهرت حضارتهم وعموجت انغام الزجل والحجاز في افق اسبانيا اتصلت بها الموسيقى الشعبية واكتسبت روحاً جديداً فنشأت عند ذلك الموسيقى الاسبانية ونحن ندعوها الاسبانية العربية

س — ألم يقم قبل خوليان ريبارا من دعا الى حفظ ذمام الموسيقى العربية والاعتراف بفضلها على الموسيقى الاسبانية على كثرة المشتغلين بهذا الفن تحت سماء اسبانيا ؟

ج — نعم ولا شك ولكن خوليان ريبارا كان ادقهم نظراً وأوسعهم بحثاً وقد قضى عدة سنين عديدة بعد أن تولى تدريس العلوم الشرقية في جامعة مدريد على درس العربية وحذق موسيقاها وقد ساعداهُ في ذلك ان Juan Roiz و Julio Vicente الاسبانيين رسما له الطريق حتى ان هذا الاخير كان يقول ان الموسيقى العربية مدينة بسلمها الى Orabi وهو مغنٍ اندلسي كان يغنى بأزجال تكثر فيها كلمة (قلبي) Calby ولو قيست مقاطع هذه الازجال لكادت تكون دو ره مي فا سو لا سي

س — يبدو لي يا استاذ ان كلمة orabi هذه لا تدل على اسم مغنٍ اندلسي فهي عندي ترجمة للفظة (عربي)

(٢) في كتابيه La musica de las cantigas . La musica Andaluza

ج — لا اخال ذلك لان Julio Vicente يقول Esta es el calby orabi ومعناه زعم ان هذا الرجل الذي كان يغنيه « اورابي » El calby solfamifaredo في انتظام ديوانه ينطبق على sol fa mi fa ré do

س — ولكن الموسيقى العربية لم تكن ذات روابط بل كانت سماعية أليس كذلك

ج — ان الموسيقى العربية لم تكن لها رسوم خطية notes ولكنها ذات روابط وضوابط وقد كانت عند العرب علماً رياضيًّا كما هي اليوم عندنا وقد اقام (الفارابي) العلامة العربي المشهور في شرح قواعدها وعنهُ اخذ المشتغلون بالموسيقى الغربية . ولو كانت الموسيقى العربية خلواً من النظام الذي لا استطاعت ان تخلف لاوروبا هذه الموسيقى التي تتمتع بها الآن

س — انني على قلة إلمامي بهذا الفن اعلم ان للموسيقى العربية سبع مراتب ولكل مرتبة سبع درجات فالاولى : يكاه . عشيران . عراق . رست . دوكاه . سيكاه . جهاركاه . والثانية : برج النوى . الحسيني . الاوج . الناهور . الحجير . البزرك . الناهوران الخ . . . فما الذي اخذتموه عن هذه الاوضاع وهل يصح القول ان هذه المراتب او الابراج كانت من الموسيقى العربية بمنزلة الرسوم الخطية (Notes) من الموسيقى الغربية

ج — هو كذلك وقد اقتبسنا كل قواعدها على وجه التقريب ونعرف عندنا بـ Gammes خذلك مثلاً قياسات الابعاد بين كل برج واخر وضبطها وعدد الاهتزازات وتقسيم الالحان وافترانها ورجوعها بحيث نرى ان كل لحن ينتهي في برجه وهو ما ندعوه finir dans le ton ثم قلب اللحن والقرار transposition و changement

زد على ذلك ان التقسيمات التي نوعها الفارابي ووضع لها اسماء منها الشحاج الاعظم والصياح الاعظم والكمال الاعظم (هكذا في الاصل العربي) نجدها في الموسيقى الغربية تحت اسماء octave, quinte, tierce, واتصال المراتب بعضها ببعض في الجواب والقرار فيما نسميه octave supérieur, octave inférieur وهكذا دواليك .. فترى اننا احطنا بكل اصول الموسيقى العربية مع اضافة وحذف ما قضى به التطور الفني ودعا الى ايجاد آلات حديثة لهُ

س — اتعتقد بان الموسيقى العربية الصرفة هي اطيب وقعاً من الموسيقى الغربية الجديدة وهل هي اغنى وارحب منها . والى اي حدٍّ من حدود الابداع وصلت

ج — ان الموسيقى الغربية هي عندي اوسع واغنى من الموسيقى العربية لولا ان

لهذه ميزة اجتماع الالحان الكثيرة في وقت واحد ولكن هذا في عرفي اقل جمال اللحن mélodie فالموسيقى العربية هي الطف روحاً واشد استثارة للشعور النفسي واؤكد لك انها بلغت في عهد خلفاء بغداد وعلى عهد ازدهار الاندلس اقصى حدود الابداع فقد كان كبار المغنين يضحكون الناس ويبكونهم فجأة وكانت الآلات تجيهم بين ايدي العازفين الى مثل هذا التحول الغريب بل قام بين اولئك المغنين من كان يتبرز بين مئات الاوتار وعشرات العازفات نغماً شاذاً فيقول يافلانة اصلحي الوتر الفلاني من عودك

س — ولكننا اليوم لا نرى بين ايدينا شيئاً من بدائع هذا الفن فما هي انجع الوسائل لكي تستعيد الحضارة العربية فنها المفقود

ج — يجب ان تنوا اولاً بوضع الخط الموسيقي notation ثم بترويض البيانو وتعديله ليصير صالحاً لموسيقاكم لان ما لديكم من ذوات الاوتار وآلات النفخ والايقاع على كثرتها لا تفي وحدها بالغرض ولكن قبل كل شيء يجب ان يقوم فيكم من يعنى جد العناية بالموسيقى العربية فيدعها بالثقافة لتصبح واضحة مجلوة لاني الى الآن لا أعرف موسيقياً عربياً عني في هذه الايام بدرس الادب الموسيقي ونشر الابحاث عنه

س — ان منا افراداً درسوا هذا الفن في معاهد اوربا وهم يعملون اليوم للتوفيق بين الموسيقى العربية واختها الشرقية

ج — ليس هنا مجال العناية فالذين يدرسون في اوربا يخرجون موسيقيين غربيين اكثر منهم شرقيين فعلى الشرق ان يجمع بنفسه آثار فنه المبعثرة . واذا كان لا بد من الاستعانة بالغرب فاسبانيا هي وحدها التي تستطيع ان تعيد الى العرب موسيقاهم

انا اليوم ندعو مدريد ام الموسيقى وقد بزّت فينا وبرلين وهي محل في صدرها بذور الموسيقى العربية بل ثمارها . فارسلوا البعثات الى اسبانيا وانا اكفل لكم النجاح

البرمد . ريو ده جانيرو عقل الجر

وادي برهوت

خطأ وصف المسعودي

حضرة الفاضل محرر المقتطف الأغر

جاء في المقتطف ج ٦ م ٧٢ في الصفحة ٦٣٤ فيما كتبهُ الفاضل امين معلوف نقلاً عن المسعودي رحمهُ الله تعالى ذكر وادي برهوت بحضرموت فقال :

وبعدها أطمة وادي برهوت وهي نحو بلاد أسفار وحضرموت من بلاد الشحر وذلك بين بلاد اليمن وبلاد عمان . وصوتها يسمع كالرعد من أميال كثيرة تقذف في قعرها بحجر كالجبال وتقطع من الصخور سود حتى يرتفع ذلك في الهواء : أتهى بحروفه ونصه لا يخلو من سقط . وقوله نحو بلاد أسفار لعله بلاد ظفار أي ظفار الحبوظي لا ظفار اليمن فليراجع . ولأني من مستوطني حضرموت وقد وصلت الى وادي برهوت لرؤية تلك البقعة لكثرة سماعي عنها وحدثني عنها عدد ممن عرفتهم ممن دخل الى جوف المغارة منهم والدي رحمهم الله تعالى فاشتبه عليّ حديثهم فذهبت اليها لا رى بعيني أحببت أن أقصّ خبر ما رأيت مختصراً

فأقول أن وادي برهوت واقع بأسفل حضرموت بالشرق الشمالي يسيراً عن بلد تريم التي هي أشهر مدن حضرموت يبعد عنها نحو ٤٥ ميلاً وبعد وادي برهوت الجبل الذي يقال ان به قبر النبي هود عليه السلام يبعد عنهُ نحو خمسة أميال وهو على يمين المنحدر من تريم. يدخل مريد الوصول الى ما يسمونهُ بئر برهوت من وادي عَدرم الى وادي برهوت وهو أحد الأودية التي تصب في وادي عَدرم وفيه آبار يحرث عليها بعض البدو وفيه شروج [1] يسقيها سيله اذا سال. وجبال الوادي غير عالية جداً وقد زرت عدداً جماً من البراكين في آسيا وأوربا فكانت الجبال التي بها البراكين أعلا مما جاورها وليس كذلك جبل برهوت وكانت فوهاتها في قمها وليس كذلك برهوت . ويوجد بقرب تلك البراكين المواد المصهورة والحمم ولا يوجد بجوار برهوت شيء من ذلك فيما رأيت وكانت زيارتي لهُ في شهر جمادى الاولى سنة ١٣٣١ هـ

وقد كان معي عدد من الرفاق والخدم فتركنا الدواب في بطن الوادي وصعدنا الجبل على الاقدام في طريق كانت صالحة لصعود الابل ولعلهم كانوا يأخذون الرماد من المغارة فيجعلونهُ سماداً للحرث ولكن الامطار خربت الطريق فتعذر صعود الابل فيها. وبعد تسلقنا في الجبل ربع ساعة وصلنا فم المغارة المسماة بئر برهوت وقد بقي الى رأس الجبل أكثر مما صعدناه لأن المغارة كانت في جنب ذلك الجبل وهي مغارة واسعة فيها بعر الاوعال وصاحب الحيات وفيها صخور غير ثابتة بل يخاف من زحلقها وسقوطها الماشي عليها وهناك عدة منافذ أو هي منافس قد سد بعضها ما جمتهُ السيول

(١) أي الاراضي الزراعية

من صخور ورحول وما تجلبهُ الرياح وتصدمه الابخرة من جوف الجبل ولم تمكن معنا آلة نرفع بها الانقاض ونفتح لنا بها مسلكاً ووجدنا أحد تلك المنافذ يمكن الدخول فيه فتسلقنا الصفا ثم مشى زحفاً على البطن او على الظهر من شاء الدخول من الرفقة ووقف في فم المغارة البعض كالمتخلف عند الدواب بعض الخدم وبعد قطعنا مسافة لا تزيد عن بضعة امتار في محل مظلم خلصنا الى محل واسع وفيه حفر كثيرة مختلفة السعة والعمق فيها رماد كبريت وحواليها صخور غير ثابتة وكان معنا قانوس ومسرج وشمع فحملنا جميع ذلك وتقدمنا الى داخل الجبل وبعد كل هنيئة يتخلف بعض الرفقة وفي المحل الذي مررنا فيه تماثيل قليلة واتجاه سيرنا كان الى جهة المنيب غالباً وبعد دخولنا الى مسافة لعلها نحو ٥٠ متراً سطعت رائحة الكبريت فتخلف من بقي معي وتوهموا ان هناك طيوراً و. وليس هناك اثر لما توهموه . ثم في فم المغارة يوجد زبل الخفافيش وقد مشيت معي رجل واحد الى ان ضاق السرداب الذي نمشي فيه وظهرت امامنا عدة منافذ وسراديب حاولنا الوصول الى منتهى احدها فلم نصل ولم نمش بعد عود الرفقة الا نحو ١٥٠ متراً في المضيق . ولا يبعد ان ما بقي منه أكثر من ذلك والاقدام تغوص في الرماد الناعم الذي بأسفل السرداب كما تغوص في الماء وسقف السرداب اسود وفي بعضه مواد منرشحة لعلها مومياء جبلية ولم يحس أحد منا بثقل في التنفس ولا صداع ولم يؤذنا شيء سوى الحر ولو كنا اعددنا حبالاً نربط بها بعضنا ببعض او أخشاب يمكننا استعمالها كقناطر فوق الحفر ومشاعيب تمكن بها من دفع الحيات ونحوها لان الرمي بالبارود يخاف منه ان تنهار السقوف وتطفئ السرج ولو كنا تأهبنا لدخلنا الى مسافة ابعد . وتوجد بجوار ذلك الوادي آثار قديمة ضئيلة . وليس هناك دخان البتة فضلاً عن نيران وحجر ولا هناك صوت البتة ولم أر فيما قرأته من تواريخ بلادي ذكر شيء من هذا فلا ادري من أين ذكر ذلك المسعودي رحمهُ الله — وما آفة الاخبار الا رواتها — اما اخبار من خبرني عن برهوت وما رآه في مسالكها وكان دخولهم قبل دخولي بنصف قرن او ازيد فيختلف بعضه عما رأيتهُ . ويتيسر من الادوات يمكن كشف جميع تلك السراديب وفتح المغلق منها وليس في ذلك صعوبة ولا كبير مشقة

حضرموت محمد الباقر العلوي